

لمح من الخصائص المغربية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية: المنطلقات والمناهج والمحاذير

hints at the characteristics of Moroccan translation of the meanings of the holy Quran to the Amazigh language: starting points, methodologies and don't's.

حميد بن احمد أيت الحيان المراكشي¹

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض مراكش المملكة المغربية

Fayd13@hotmail.com

تاريخ الوصول: 2018/11/30 القبول: 2019/10/31 /النشر على الخط: 2020/03/15

Received: 30/11/2018 / Accepted: 31/10/2019 / Published online : 15/03/2020

ملخص: إن الحاجة ملحة لبيان معاني القرآن للعالم أجمع ولنشرها باللغات العالمية، توضيحاً وتقريباً لحقيقة الإسلام ووسطيته، ولتبليغ الدين لكل الأمم بلسانها. ويتأكد هذا الوجوب عندما يتعلق الأمر بهذه الفئة من المسلمين الأمازيغ. مع الاحتياط عند ترجمة الألفاظ الشرعية والعقدية لما تحمل من دلالات عميقة، فكانت الترجمة محفوفة بالمخاطر والمزالق إلا لدوي العلم والحكمة والاستعداد، وهو ما عنيته بالمحاذير في العنوان.

الكلمات المفتاحية: معاني القرآن، الترجمة، الأمازيغية، المحاذير، العقيدة.

Abstract

Translating the meanings of the holy Quran into other languages is very necessary if we are to meet the goals and the intentions of the legislator (Allah) which is centered around proclaiming, spreading and communicating the message of Allah eloquently to people from different cultures. This need becomes more urgent when it comes to addressing Amazighs.....

Keywords : meanings of Quran – Translating – Amazighs.

¹ المؤلف المرسل: حميد بن احمد أيت الحيان المراكشي الإيميل: Fayd13@hotmail.com

تمهيد:

ارتبطت عملية الشريعة الإسلامية وانتشارها بعاملين أساسيين، أحدهما: انفتاح المسلمين على الشعوب والحضارات المجاورة، والدعوة المستمرة إلى الإسلام في كل زمان ومكان، والقدرة على التكيف والمرونة في تقريب معاني الشرع الحكيم وفقا لمراد الشارع بلا تهييب ولا تسيب ولا جمود.

أما العامل الثاني: فإدراك علمائنا قديما وحديثا ضرورة وأهمية ترجمة معاني القرآن الكريم، وأثر ذلك في نفوس من لا يجسن اللغة العربية. إذ لما كانت الشريعة الإسلامية رسالة عالمية، وحملها إلى الناس كافة باختلاف أجناسهم وألستهم من الفروض الكفائية والواجبات الشرعية، تحقيقا لمقصد الهداية، وتقريبا للشرع، وإقامة للحجة، وأداء للأمانة، فإن ذلك مدعاة إلى ترجمة المعاني لغير العرب ترجمة تقوم على مناهج علمية رصينة، تحقق للنص قدسيته وللمعاني الفهم الصحيح الذي يلائمها، مع الاحتياط عند ترجمة الألفاظ الشرعية والعقدية لما تحمل من دلالات عميقة، فكانت الترجمة محفوفة بالمخاطر والمزالق إلا لذوي العلم والحكمة والاستعداد، وهو ما عنيته بالمخاير في العنوان.

ويندرج تحت هذا المطلب فئة عريضة من المسلمين غير العرب، وهم الأمازيغ الذين رضوا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولا، وثبتوا على هذا الاختيار الحضاري الواعي الموفق قرونا متتابعة، وكان من بينهم من تعلموا اللغة العربية الفصيحة، وحذقوا أساليبها، وألموا إلاما كافيا باستعمالاتها الحقيقية والمجازية، فاحتكوا بالقرآن الكريم احتكاكا مباشرا، ووقفوا على كثير من كنوزه وأسراره، ولم يكونوا بحاجة إلى من يترجمه لهم إلى لغتهم الأصلية. ولكن فئة عريضة من الأمازيغ لم تتمكن - لظروف وأسباب - من تعلم اللغة العربية، ولم تستطع الاتصال المباشر بالقرآن الكريم، لأنها لا تملك مفاتيح أقفاله، ولا تتوفر على جواز المرور إلى عالمه الفسيح، فكان من الواجب أن تترجم لها معاني القرآن، وتقرب إليها بلغتها التي تفهمها وتتخاطب بها، لتقف وجها لوجه أمام رسالة الله الموجهة إليها، وتتعرف على أوامر الله ونواهيه، وتكون على بينة تامة من الأمانة التي حملتها، وكلفت بأدائها والمحافظة عليها، وهي أمانة التكليف بمستوياتها المختلفة، وأبعادها المتنوعة، لأنها لا تؤدي دور الخلافة في الأرض المنوط بها، إلا إذا عرفت ما لها وما عليها، وعرفت ما طلب منها القيام به في هذه الدنيا، وعرفت الحدود التي لا يجوز لها أن تتعداها¹.

الإشكالية: نحاول من خلال هذه المقالة العلمية النظر في الإشكالات المنهجية والمعرفية التي تطرحها ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية، من خلال مجموعة من الأسئلة المنهجية أهمها:

أولا: ما هي المنطلقات والدواعي لترجمة معاني القرآن الكريم؟

ثانيا: ما هي أهم الضوابط والمناهج والخصائص التي ميزت محاولات الترجمة إلى الأمازيغية للنص الديني عموما وللقرآن الكريم خصوصا؟.

¹ - انظر مقال: ملاحظات حول كتاب ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية للحسين جهادي، مدونة الأستاذ اليزيد الراضي،

منهج البحث: حاول الباحث أن يسلك منهجا وصفيا تحليليا من خلال تتبع عدد من المصادر والمراجع، ومناقشتها مناقشة علمية تحليلية لأجل الوقوف على مميزات المدرسة المغربية في الترجمة.

واستغل الباحث عددا من المراجع العلمية أهمها كتاب ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية للباحث حسين جهادي، كما أفاد من أعمال وترجمات الفقيه العالم أكبيل الهوزالي وغيره، كما كان للباحث نظر واطلاع في محاولات وإبداعات فقيه الجزائر و مترجمها فضيلة الشيخ الحاج محمد الطيب وغيرهم.

خطة البحث: وتأسيسا عليه، فإن هذه الورقة العلمية الموسومة ب: "لمح من الخصائص المغربية في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية: المنطلقات والمناهج والمحاذير"، قائمة على محورين متكاملين، محور نظري يناقش إشكالية ترجمة القرآن الكريم، عبر بيان يراعي خصائصه وتعذر ترجمة ألفاظه وما تحمله من معاني ودلالات، وما ترتبط به من سياق وأحداث.

أما المحور الثاني: فهو المحور الأهم في الورقة البحثية، وقد أردته تطبيقات لما سطر في المحور الأول من قضايا واستشكالات، وموضوع الابتناء فيه من خلال ثلاث قضايا رئيسية:

أولها: الإلماع في وجازة مبينة إلى جهود علماء المغرب الأقصى من الأمازيغ في تقريب المباحث اللغوية والشرعية عموما والقرآنية خصوصا لفئة عريضة من أقوامهم ممن تعذر عليه فهم اللسان العربي ولم يحدق فيه.

ثانيهما: الإسفار عن طرقهم في الترجمة من خلال شواهد تشتت منها معالم منهجية، وأصول معرفية.

ثالثهما: الإبانة عن ضوابط ضرورية، واستشكالات منهجية، ورؤى استشرافية لمستقبل ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية.

وقد اخترت لهذه الدراسة التطبيقية علمين جليلين أمازيغيين عاشا في فترتين زمنييتين مختلفتين، أما الأول فالعالم الأمازيغي المتفن محمد بن علي أكبيل الهوزالي توفي سنة 1162هـ، له عناية بالتأليف بالأمازيغية.

أما العلم الثاني فمن المعاصرين الذين سبقوا إلى ترجمة معاني القرآن الكريم، وهو الأستاذ جهادي الحسين الباعمراني: الباحث في التاريخ وأستاذه، وفاعل داخل الحركة الثقافية الأمازيغية، وعضو للمجلس الوطني للجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي والتي يعد فقيها نظرا لاغترافه من العلوم الشرعية ودرايته الواسعة فيها.

المحور الأول: ترجمة القرآن بين الحظر والإيجاب.

أثارت مسألة ترجمة القرآن الكريم جدلا بين الفقهاء قديما وحديثا، قبل أن يتم التسليم والاقتناع بضرورتها بل ووجوبها في بعض الأحيان. وإذا كان منشأ الخلاف قد ارتكز حول جواز التعبد بالقرآن الكريم المترجم عند البعض، فإن بعض المانعين ذهبوا أبعد من ذلك، فائلين بعدم جوازه مطلقا قراءة وصلاة وتعبدا وغيره.

والذي استقر عليه الأمر عدم جواز الترجمة اللفظية فقط، فهي مما ينبو عن القدرة ويبعد عن التحقيق، فالترجمة اللفظية وهي إبدال لفظ بلفظ آخر يرادفه في المعنى مع الاحتفاظ بما للمبدل منه من الدلائل القريبة والبعيدة، والدلائل الأصلية والتبعية، وبما له من ميزات متعددة، هذا النوع محال ليس في استطاعة الثقلين باتفاق العلماء، لأن التعبير عن لفظ منه بلفظ آخر، ولو كان عربيا يماثله ففي المعاني مدعاة للسخافة ودلالة على الجهل، ومدعيه معاند لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اِجْتَمَعَتِ اِلٰنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا اَلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَاِنْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظٰهِرًا﴾¹ وإذا كان هذا النوع محالا فلا يتصور البحث في جوازه من عدمه؛ لأن البحث في هذا فرع عن إمكانه وهو غير متصور².

ومن منع ذلك ابن فارس حيث يقول: "قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما لم تتسع في الجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه: ﴿فَاِذَا تَشَفَّفْنٰهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرَّدُوْهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُوْنَ﴾³ لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها"⁴.

ولما كان القرآن الكريم معجزا بلفظه ومعناه فإن هذا الإعجاز لا يتحقق عند ترجمة القرآن، وإنما التبيان والإعجاز الوارد في الآيات والذي نبه إليه الحق سبحانه وتعالى، إنما يكون بلغة العرب، "فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآنا ولا بيانا ولا اقتضى إعجازا"⁵.

¹ - سورة الإسراء: 88.

² - الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423 هـ - 2002 م ص: 864.

³ - سورة الأنفال: 58.

⁴ - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس المتوفى: 395 هـ، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418 هـ-1997 م، ص: 19.

⁵ - أحكام القرآن لابن العربي ت 543 هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة: 2003 م، 88/4.

وإذا تأكد استحالة ترجمة جميع ألفاظه بمعانيها لأية لغة، ولا يمكن أن تكون الترجمة قرآنا باللغة الأجنبية لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه وهو كلام الله سبحانه وتعالى أنزله على محمد ﷺ بلسان عربي مبين، وأن الترجمة وسيلة من وسائل نقل بعض المعاني وتيسير فهم القرآن وتدبره لمن لا يعرف اللغة العربية، فإنه وجب القيام بما نصحا للعباد وإبلاغاً لكتاب الله إلى من لا يعرف لغته.

وعليه فإن المنع مخصوص بالتعبد كما ينقل الزركشي، "أما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة، وينبغي أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه والغريب المعنى بمقدار الضرورة من التوحيد وأركان العبادات"¹. فالزركشي يميز ترجمة القرآن الكريم من خلال بيان معانيه على مقدار الضرورة إليه، مع وجوب الاحتياط عند ترجمة المتشابه من الألفاظ والغريب المعنى.

وأما ما ذهب إليه بعض العلماء وتمسكوا به من القول: "إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"².

فإن هذا الأصل صحيح، والتمسك به واجب، وهو ما وضحه الشاطبي وبنى عليه إحدى كلياته أعني قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام يقول: "إن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها تخاطب بالعام يراد به ظاهره، وبالعام يراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يراد به الخاص، والظاهر يراد به غير الظاهر، وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتتكلم بالكلام ينبيأ أوله عن آخره، أو آخره عن أوله، وتتكلم بالشيء يعرف بالمعنى كما يعرف بالإشارة، وتسمي الشيء الواحد بأسماء كثيرة، والأشياء الكثيرة باسم واحد، وكل هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي ولا من تعلق بعلم كلامها"³.

غير أن هذا الشرط لا يمنع الترجمة بل يضبطها، فاشتراط اللسان العربي المبين في المترجم أمر واجب، والأوجب أن يتم التبليغ لمئات الملايين ممن يدين بدين الإسلام في أنحاء المعمورة، ويتكلمون بلغات مختلفة غير اللغة العربية التي بعث بها رسول الله ﷺ، وكثير منهم لا يعرف العربية، وليس عنده إمكانية لتعلمها لعدة عوامل تختلف من شخص لآخر، ومن مكان لآخر، وهم في الوقت نفسه يحتاجون إلى التعلم وصولاً إلى الفهم والعمل به، فكان المتعين والواجب ترجمة معاني القرآن إلى لغاتهم.

¹ - البرهان في علوم القرآن للزركشي 794هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1957م: 465/1.

² - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية 728هـ، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة: 1999م، 527/1.

³ - الموافقات للشاطبي ت 790هـ، تحقيق مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1997م، 103/2.

فالحاجة ملحة لبيان معاني القرآن للعالم أجمع ولنشرها باللغات العالمية، توضيحاً وبيانا وتقريباً لحقيقة الإسلام ووسطيته، ولتبليغ الدين لكل الأمم بلسانها. ويتأكد هذا الوجوب عندما يتعلق الأمر بهذه الفئة من المسلمين غير العرب، التي لا ينبغي أن تظل عن كتاب ربها محجوبة، ومن الاطلاع وفهم معانيه محرومة.

المحور الثاني: خصائص المدرسة المغربية في ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية.

أ - الأسس والمنطلقات:

ارتبطت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية كما ذكرنا سابقاً بالحاجة الملحة إلى تقريب مفاهيم الشرع الإسلامي وتبسيطه لفئات عريضة من المجتمع، وقد كانت تتم من خلال نخبة من العلماء الذين نبغوا في علوم الشرع وبرعوا في اللسان العربي، عن طريق الترجمة الفورية الشفوية لمعاني القرآن والحديث النبوي الشريف، ولا زلنا حتى يومنا هذا نرى هذه التجربة من خلال خطبة يوم الجمعة في عدد من مساجد المناطق النائية التي لا يتقن أهلها اللسان العربي، فيتم ترجمة معاني موضوع الخطبة قبل الأذان للصلاة بالأمازيغية.

ومن أهم الوظائف التي كانت تؤديها الترجمة التبليغ والتأطير الاجتماعي على هدي مرجعية الدين الإسلامي، وتيسير المعارف وتلقيها للنشء في فضاءات المساجد وحلقات الدرس في المدارس العلمية العتيقة.

وإذا كانت عملية الترجمة في بداياتها تتم عبر التخاطب الشفهي، "فقد تطورت بالتدرج نحو الكتابة، فبدأ العلماء في وضع كتب مبسطة في العقيدة والفقه والتصوف، وأغلبها يحمل طابعاً شعرياً يلائم المدرسة البدوية التي تتميز بالبساطة والحضور القوي للشعر حتى في تأليفهم الدينية ودروسهم الفقهية¹.

فانتقل التراث الأمازيغي من مظاهر المشافهة إلى مظاهر التدوين منذ وقت مبكر، ومن أبرز سماته: بعده عن التعقيد لاعتبارات أهمها كونه إنتاجاً فطرياً منسجماً مع البيئة البدوية المتسمة بالعفوية والتلقائية، وكذلك اعتماده على التأويلات الرمزية التي تدل على وجود وعي معرفي وحرص منهجي².

ويتضح مما سبق أن ظهور مؤلفات بالأمازيغية وأغلبها من الترجمات للكتب الدينية المعروفة في الفقه والعقيدة والتصوف، دعت إليه الحاجة الملحة لتبسيط العلوم، وتعليم الناس على قدر عقولهم وباللسان الذي يفهمونه، وأملته ضرورات وقتية وسياقات زمانية وثقافية خاصة، حيث كان التلميذ "إذا تمكن من حفظ القرآن والذي لا يتمكن من حفظه غالباً إلا بعد بلوغه أكثر من ثمانية عشر سنة، وإذا ختم حفظه كان كما قال المخترار السوسي: لا يدري حتى معنى الخبز، والسمن، والبصل،

¹ - مقال: الأفراني والحالة الثقافية بمراكش في عصره لمحمد العمري ص: 321، ندوة: من جامعة بن يوسف إلى جامعة القاضي عياض، حصيلة تسعة قرون من ثقافة أصيلة ومتميزة، العدد 1990/6.

² - المخطوط الأمازيغي في المجال السوسي لمحمد الهاطي ص: 5.

والحصير والفأس. لأنه يعيش في منطقة منزوية قلما يزورها عربي، وقلما يخرج منها أهلها إلى المناطق التي تتحدث الدارجة المغربية، لذلك فإن من حفظ القرآن فإنه لا يفقه من معناه شيئاً¹.

ب - بين الهوزالي والباعمراني الثابت والمتحول.

هو محمد بن علي أكبيل الهوزالي ولد أواخر القرن الحادي عشر للهجرة بقرية تيزيظ بقبيلة إندوزال بدائرة إيغرم إقليم تارودانت، وحفظ القرآن بقريته وبدأ بدراسة العلوم في المدارس العلمية القريبة منها، ثم ارتحل إلى الزاوية الناصرية بتامكروت وهناك اعتكف على الدراسة والتعلم على الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي وعلى العلماء الكبار الذين كانوا يدرسون بالزاوية أو كانوا يلمون بها².

بعد أن أشبع العلامة أكبيل نهمه من الدراسة ودعه شيخه وأرسله إلى موطنه فاستقر هناك وأسس مدرسته العتيقة سنة 1111هـ وقام بالتدريس فيها، وبسبب جده واجتهاده توافد عليه الطلبة للدراسة العلمية، كما انتال عليه عموم الناس لتلقي الورد الناصري وتعلم أركان الدين وأسس العقيدة، وبذل جهوده في وعظ الناس وحثهم على التمسك بالدين ونبد البدع والانكفاء عن الشرور، وقد ذكر تلميذه العلامة الحضيكي أعماله في هذه المجالات ونوه بها، قال: "وألف للناس في ذلك كتباً، بالغ بالنصح فيها نظماً ونثراً، عممية وعربية، وقد أنعم الله تعالى على الإسلام بنصحه"³.

والذي يهمنا هو أن الهوزالي تنبه إلى ضرورة ترجمة مؤلفاته، وبعض المؤلفات الأخرى لغيره إلى الأمازيغية، والسبب في ذلك ما ذكرنا آنفاً، "إذ أحس أنه ليس من المعقول أن يبقى الرجل المسلم وقد تجاوز سن البلوغ دون أن يضبط أمور دينه على الوجه الصحيح، فكتب هذه الكتب ليمحو بها أميتهم الدينية"⁴.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل كان الهوزالي أول من أبدع في ذلك؟ وهل اقتصر على ترجمة كتب الفقه والتصوف والعقيدة أم كانت له محاولات في ترجمة القرآن الكريم؟ وما المنهج الذي اتبعه في ذلك؟

إن من أهم أسباب اختيارنا لهذا العلم ما لاقته مؤلفاته من إقبال ورواج ودراسة وعناية، وذلك لا يعني أنه كان أول من كتب وترجم إلى الأمازيغية، وفي هذا الصدد يمكن أن نذكر عقيدة ابن تومرت بالأمازيغية، والعقيدة المباركة لسعيد بن عبد المنعم الحاحي، وكتاب لمازغي في التوحيد والوعظ لأرنك إبراهيم بن عبد الله الصنهاجي، وكشف الرموز لعبد العزيز الرسمى وغيرهم.

1- العقيدة والتصوف لخديجة كمايسين، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة دار المعارف الجديدة، الطبعة الأولى: 2015م، ص: 101.

2- انظر ترجمته في طبقات الحظيكي ت1189هـ، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006م: 363/2، وسوس العاملة للمختار السوسي، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، الطبعة الأولى 1960، ص: 191، الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، طبعة 2002م، 296/6.

³ - طبقات الحضيكي: 363/2.

⁴ - العقيدة والتصوف في فكر محمد بن علي أوزال ص: 102.

أما ترجمة القرآن الكريم فباستثناء ما يذكر عن إقدام أحد زعماء البورغواطين على ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية، فلا نملك أدلة على محاولات أخرى سوى رسالة محمد بن محمد بن عبد الله السملاي إلى أبي الحسن اليوسي يستفتيه في جواز ترجمة القرآن إلى الأمازيغية.

وهذه السؤال الموجه لعالم زمانه أبي الحسن يبرز الخلاف القائم بين فقهاء سوس في مسألة ترجمة القرآن، بل حول التأليف بالأمازيغية عموماً، ويتضح هذا الخلاف من خلال مؤلف بارع من أوائل العلماء الذين ألفوا في الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني بعد ابن تومرت ت524هـ، بل يمكن القول أن معظم من أتى بعد أزنالك من المؤلفين المغاربة قد تأثروا بكتابات، ومنهم على الخصوص محمد بن علي أوزال الهوزالي ت1162هـ، كما أن هذا السبق الزمني في التأليف بالأمازيغية، جعل أزنالك يواجه معارضة قوية من طرف بعض معاصريه الذين أنكروا عليه ذلك، ولهذا نجد يستفتح منظومته في التصوف بهذه الابيات¹:

لا لكتاب ثنان أوريزري	ند الكتاب الذي يقول لا يجوز
يان دين نربي لإقوام سلمازيغي	ن يبين دين الله للأقوام بالأمازيغية
ي طاف راسول الله ترجمان	لرسول الله ترجمان
ين إغاراس ثلاثميين	ينون الطريق للآدميين
مليناس أغراس سواوال دأس	ند بينوا له الطريق باللغة التي
يراس نين محتوم نلعربيا	لم يقولوا محتوم أن نين بالعربية

وهكذا يظهر تنكب العلماء عن التأليف بالأمازيغية ووقوفهم ضد استعمال الترجمة ولو في أمور الدين، ودعوتهم إلى تعلم اللغة العربية، ودعوتهم إلى إعمالها في نشر الدين وتعليمه للناس، وفي المقابل نجد فئة من العلماء اقتنعت بضرورة الترجمة والكتابة الأمازيغية، ويزداد الأمر حرجاً وممانعة كلما تعلق الأمر بترجمة القرآن الكريم، تحوطاً وخوفاً من القول فيه بغير علم، واعتقاداً بأن الواجب هو تعلم العربية وتعليمها للناس، لا ترجمة القرآن ومعانيه.

أما اليوسي الذين كان له موقف واضح من جواز النطق بكلمة الإخلاص وتعرف معناها باللفظ الذي يفهمه، ولم يلزم العوام بمعرفتها بلفظها كما نقل في كتابه المحاضرات في اللغة²، فقد أجاز تفسير القرآن باللغة البربرية مع شرطين، أحدهما: تحري

¹ - المخطوط الأمازيغي في المجال السوسي لمحمد الهاطي بتصرف ص: 32.

² - فأقول لهم هذا هو معنى كلمة الإخلاص المطلوب منكم اعتقاده، سواء عرفتموه من لفظها أو لا، فإن الكلمة عربية، والأعجمي لا حظ له في دلالتها، وإنما حسبته أن يترجم له مضمونها فيعتقده، وكذا العقائد كلها المطلوب منكم اعتقادها بالمعنى، ولا يشترط فهم ألفاظها التي يعبر "بها" عنها في كتب العلماء، ولا إدراك حدودها ورسومها التي تعرف بها. فإن فهم هذه

الصدق والتحصن بجنة لا أدري، والثاني التبحر وحصول المعرفة التامة بالمراد مع معرفة موضوعات الألفاظ العربية والقرآنية وتحقيق حقيقتها ومجازها وتصريحها وكنائنها وغير ذلك، مع معرفة تطبيق ذلك على الألفاظ العجمية التي يقع التفسير بها، ليلا يقع الخطأ في إيراد لفظ مكان لفظ لا يرادفه، وذلك محتاج إلى معرفة تامة، وفطنة قوية، وهو أمر صعب ومن صعوبته يوجد فحول المفسرين يتبع بعضهم بعضا في كثير من العبارات، والأحوط من ذلك أن يسرد تفسيرا من التفاسير السهلة ثم تفسير ألفاظ المفسر لا ألفاظ القرآن¹.

وبالانتقال إلى العلم الثاني الأستاذ الباحث الحسين جهادي الباعمراني الذي أخرج ترجمة للقرآن الكريم بعد اثني عشر سنة من البحث المضي والاجتهاد، والذي تصدى لهذه الغاية النبيلة رغبة منه في "أن تساعد هذه الترجمة على فهم مباشر لمن لا يعرف سوى الأمازيغية، وقد تفيد من لم يتخصص في العلوم الدينية، وكذلك من توقف عن الدراسة مبكرا، والهدف هو المساهمة في تيسير فهم القرآن قدر الاستطاعة"²، وكذلك الرغبة بالافتداء بالأجداد الذين ترجموا الأمهات الفقهية بالأمازيغية مثل أوزال والأمير وأونك واعز ما يطلب وبجر الدموع"³.

ومن خلال قراءة متأنية لمقدمة كتابه وخصوصا ما تعلق بدوافع التأليف تظهر ملاحظات دقيقة تسائل الكاتب عن دقتها ووجاهتها، فإذا كان الهوزالي ومن قبله ترجموا من العربية إلى الأمازيغية بذريعة وجود فئات لا تفهم سوى اللسان الأمازيغي فذلك ممكن في زمانها ومستساغ القول به، أما في زماننا فيعسر أن تجد في قبائل الأمازيغ من لا يلم باللسان العربي ويفهم ألفاظه وكلماته.

ولا شك أن للمتوهم دوافع أخرى مغيبية، لا يمكن الإفصاح عنها إلا من خلال الإقرار بأن إنجازها جاء ضمن سيروية وتطور تاريخي وتغيرات مجتمعية وثقافية، عرفت فيه المسألة الأمازيغية بالمغرب تطورات عديدة بدءا بالظهير الاستعماري الفرنسي الذي سعى للتفريق بين المغاربة العرب والأمازيغ، ثم المطالبات المستمرة لمجموعة من القوى الأمازيغية المدنية بتعزيز دور الأمازيغية وترسيمها -وهو أمر مقبول-، وظهور اتجاهات مختلفة الغايات والأهداف، ومنها من تلبس بلبوس الدفاع عن الهوية والثقافة الأمازيغية تقيية وخداعا، تحركها دعوات انفصالية تحارب العربية وتستعدي الإسلام.

العبارات والإحاطة بهذه الحقائق والتقريرات علم آخر لم يكلف به العوام. المحاضرات في اللغة لليوسي، دار المغرب للترجمة والنشر والتأليف، الطبعة الأولى: 1976م، ص: 92.

¹ - المعسول للمختار السوسي: 52/5.

² - ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية لجهادي ص: 3.

³ - نفسه ص: 2.

فظهرت كتابات تبرز حساسية مفرطة ضد اللغة العربية وما يتولد عنها من الرغبة في تنقية اللغة الأمازيغية من آثارها¹، حتى ولو كانت الآثار تغني الأمازيغية وتوسع آفاقها وتمكنها من التعبير بدقة عن مبادئ الدين الإسلامي ومثله العليا.

كما أن هناك اتجاهات متعصبة للأمازيغية تحاول إبرازها في شكل لغة غنية لا تحاور اللغات الأخرى ولا تستعير منها، ولا تتأثر بها حتى لو تعلق الأمر بلغة القرآن الكريم. وفي هذا يقول أحد أبرز رواد الاتجاه العلماني الأمازيغي بالمغرب: "ولقد استمرت الترجمة الأمازيغية حتى اليوم على المستويين الشفوي والمكتوب، بحكم وجود نخبة حديثة تكتب وتقرأ بالأمازيغية، غير أن هذا الاستمرار يتم في سياق مختلف تماما عما سبق"².

ولهذا نجد أن كتاب تفسير معاني القرآن الكريم لجهادي الباعمراني قوبل بنوع من الفتور والشك والريبة، ولم يصدر للدوائر الرسمية كالمجلس الأعلى في شأنه رأي أو مقال، كما لم يتم تبنيه أو الإسهام في نشره، بل هناك من ذهب إلى حد التشكيك في النوايا والأهداف من ورائه

فأين تجلّى أثر ذلك التحول في ترجمة القرآن عند جهادي؟ وما هي أوجه الاختلاف والاتفاق بين الترجمة من العربية إلى الأمازيغية بين الهوزالي وجهادي؟ وما هي خصائص الترجمة عند كل واحد منهما؟

المحور الثالث: ملامح منهجية في الترجمة إلى الأمازيغية بين الهوزالي والحسين

جهادي.

أ - الترجمة من العربية إلى الأمازيغية بالخط العربي:

من المسائل المشتركة في الأعمال التي بين أيدينا للهوزالي والحسين جهادي، تميزها بميزة الكتابة بالخط العربي، ولقد حافظت جميع المؤلفات والترجمات بهذه الصبغة المتوارثة، فإذا نظرنا إلى الطريقة التي سلكها الهوزالي في كتاباته وترجماته إلى الأمازيغية، نجده يحافظ على الطريقة التي كتب بها من كان قبله ومن جاء بعده من المؤلفين، الذين خلفوا لنا كتابات أمازيغية، "إنهم جميعا يكتبون بالحرف العربي، هذا مع عدم معرفتهم بقواعد النحو في لغتهم إلا بطريقة حدسية غامضة، فتقسيم الجمل إلى كلمات تقريبي فقط، فقد يكتبون الاسم والفعل معاً كأنهما كلمة واحدة، فهم يكتبون بطريقة وصلية"³.

وقد حافظ الحسين جهادي في ترجمته لمعاني القرآن الكريم على هذا المنهج مع إدخال بعض التغييرات، وإضافة بعض المحسنات يذكرها في مقدمته، وأهمها: الشكل بحروف العلة واي بدلا من الحركات لكن بدون مد في اللغة الأمازيغية، وكذلك

¹ - يذهب المختار السوسي إلى أن التبادل اللغوي بين الأمازيغية واللغة العربية بلغ أوجه بدخول الإسلام، والمعجم الديني أكثر تأثيرا في اللغة الأمازيغية، غير أنه بين أن هناك قسما من الألفاظ التي انتقلت من العربية إلى الأمازيغية قبل الفتح الإسلامي. ينظر مقال تأثير العربية في اللهجة الشلحية لمحمد المختار السوسي، مجلة اللسان العربي، العدد 2، يناير 1965م، ص: 32.

² - قضايا الترجمة من الأمازيغية وإليها لأحمد عصيد، أعمال ندوة الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية إستراتيجية؟ منشورات وزارة الثقافة 2003، مطبعة دار المناهل، ص: 74.

³ - العقيدة والتصوف في فكر محمد بن علي أوزال ص: 416.

دون همزة قطع إلا في بداية الكلام نطقاً مع إضافة المصطلحات كالأزاي والجيم المفحمتين، وحروف الجر وحروف المعاني التي تدرك بالتعود على القراءة¹.

وإذا كان اللجوء إلى الخط العربي مفهوماً عند الهوزالي ومن قبله، فإن الأمر يحتاج إلى توضيح وبيان سبب الاختيار عند الحسين جهادي إذ أن الحرف الأمازيغي تيفيناغ صار معروفاً ومقروءاً، وقد أخذ الصبغة الرسمية لكتابة اللغة الأمازيغية. ولا يخفي جهادي أن المانع من كتابة الترجمة باللغة الأمازيغية باللاتينية إنما هو التخوف من الاتهام بالعمالة والحنين إلى الاستعمار، بينما اختار الحرف العربي لضمان انتشار واسع للترجمة، وتحقيق الهدف والغاية منها وهي التقريب والإفهام.

ب - اللغة المستعملة في الترجمة:

لا يخفى على الباحث المطلع أن اللغة الأمازيغية في المغرب تحتضن العديد من اللهجات المختلفة وأبرزها اللهجة الريفية في الشمال، واللهجة الزبانية بجزال الأطلس المتوسط، والشلحية السوسية بقبائل سوس بالوسط والجنوب، فلا شك أن اللهجة المستعملة عند الهوزالي في مؤلفاته هي اللهجة المتداولة عند قبائل سوس، مادام أن الغاية والمقصد منها تقريب معانيها إلى الطلبة والمريدين بالمنطقة.

والأستاذ جهادي لم يحدد اللهجة التي اختارها لترجمته لمعاني القرآن الكريم، وهو خطأ منهجي يحول دون الوقوف على مدى التزامه بهذه اللهجة أو تلك، ومدى حرصه على تقريب المعاني وسلامة الترجمة، وإن كان الذي يغلب على استعماله في الترجمة لهجة تاشلحيت لاعتبارات أهمها أصوله السوسية، وكذا كون لهجة تاشلحيت الأكثر ذيوفاً وانتشاراً.

وقد يجد القارئ لهذه الترجمة ألفاظاً غريبة عن اللهجة المتداولة، والسبب في استعانتها بالمعجم وتوسعه في البحث عن الألفاظ الأمازيغية المناسبة، مما يجعل البعض كما يفترض جهادي في مقدمته يدعي أنه لا يفهم الكثير من الأمازيغية التي كتب بها².

ج - حضور الألفاظ العربية الإسلامية:

يشير محمد المختار السوسي إلى التقارب الحاصل بين العربية والشلحية فيما يخص مخارج الحروف، فهي متساوية حتى بالنسبة لحرف الضاد فهو ينطق به عند الشلحيين كما ينطق به عند العرب سواء بسواء³.

وأبرز أن هناك تأثير واضحاً للغة العربية في الأمازيغية، "وهذا التأثير يقوى في الكلمات الدينية التي هي سيل طافح، وقد التهمت الشلحة كل الألفاظ التي تؤدي المعاني المتعددة في الصلاة والزكاة والصوم والحج فتشلحت كلها فأنت مثلا تسمع تمزكدا وتصلت وتلفطرت فتعلم أن أصلها المسجد والصلاة وزكاة الفطر، وهذا الباب الديني كثير جدا"⁴.

¹ - ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية لجهادي ص: 4.

² - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية لجهادي الباعمراني ص: 4.

³ - انظر تأثير العربية في اللهجة الشلحية لمحمد المختار السوسي ص: 32.

⁴ - نفسه: 33.

وهذا النص الذي بين أيدينا يؤكد أن اللغة الأمازيغية كبقية اللغات تحاور غيرها وتحتك بها أخذاً وعطاءً، وهذا مظهر من مظاهر الحيوية والتحضر وعدم الجمود.

وقد تنبه الأستاذ جهادي إلى ذلك وبينه في مقدمة كتابه، والواقع يصدق ذلك، فاللغة الأمازيغية اغتنت بألفاظ وعبارات إسلامية اقتباساً وتداولاً، كما قامت بنظمها في قوالب لفظية وتركيبية لتنسجم مع طبيعتها، فنجد ألفاظاً يتم استعمالها بشكل يومي دون حرج مثل بسم الله، واسم نربي، والحمد لله ونحمد است إريين ونشكر إربي، وتزليت، ويقال للصائم يزوم وغيرها.

ورغم كل الاستشكالات التي يطرحها استعمال الألفاظ الشرعية خصوصاً ما تعلق بالمصطلح العقدي، وغيره من المتشابه والغريب، وما يطرحه من ضرورة الاحتياط عند الترجمة فإن الألفاظ الدينية الشرعية حاضرة وبقوة في المؤلفات الأمازيغية عند الهوزالي.

فالملاحظ أنه يستعمل هذه الألفاظ بكل مرونة ودون أدنى تكلف، فلما كان الغاية من الترجمة التقريب والإفهام، فلا جدوى من ترجمة الألفاظ البينة الواضحة، والتي تداولها الأمازيغ وطوعوها في قوالب الأمازيغية وتراكيبها، كالصلاة والحج والقرآن والسورة وغيرها، فيقال تزليت ولحيج ولقران وسورت، بينما حافظوا على بعض العبارات كما هي كالبسملة والتصلية والحوقة. يقول الهوزالي¹:

الله ثرحمان أس بديغ، وإالاتيدي	بسم الله الرحمن، ويلييه
والسلام عليك أنابي حمادي	والسلام عليك أيها النبي أحمد
إ يورو، أولا زواجات، وُلا لصحابا	بته وزوجاته وأصحابه

ويبدو جلياً من هذا الاستفتاح أن الأمازيغ يتداولون البسملة بألفاظها العربية، ويقصدون بها نفس ما وضعت له في الأصل، وكذلك ألفاظ النبي والصحابة والتابعين... ومادام الأمر كذلك فإن ترجمتها غير ضرورية، وقد يشكل التكلف والتشدد في ترجمتها مزيداً من الإبهام والإيهام ما لا يوجد في الأصل، ولقد تفتن إلى ذلك كبار العلماء الأمازيغ ودرجوا على إبقائها وتثبيتها في مؤلفاتهم وكتبهم وأشعارهم.

وذلك وعياً منهم من أن بعض الألفاظ العربية مثل الزكاة لا يمكن ترجمتها ترجمة تؤدي المعنى الصحيح في الإسلام، ولهذا فضلت بعض اللجان المعنية بترجمة القرآن إلى الفرنسية مثلاً، أن تبقى هذه الألفاظ كما هي في اللغة العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية، وعملت قائمة لهذه الألفاظ التي استعملت في الترجمة كالله والإله والزكاة والصيام².

¹ - بحر الدموع باللغتين الأمازيغية والعربية للهوزالي، تحقيق عمر افا وترجمة إبراهيم شرف الدين، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 2009م، ص: 32.

² - راجع مثلاً مقدمة كتاب القرآن وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة 1405هـ، ص: 4.

ح - اختيار الترجمة المناسبة بين التكلفة والمرونة:

دأب العلماء الأمازيغ وغيرهم إلى استعمال الكلمات الأصلية الدينية كما ذكرت آنفا دون الحاجة إلى ترجمتها، لأنها أقرب إلى الفهم عند المترجم له في استعمالاته ومخاطباته اليومية، وتزداد هذه الألفاظ رواجاً وحضوراً في الوقت المعاصر لاعتبارات عدة، فالهوزالي في كتابه بحر الدموع يثبت الكثير من العبارات كما هي "بسم الله" و"سبحان ربي"، بينما حافظت الكثير من الأسماء والأفعال على ما هي عليه بعد تطويعها لتكون مناسبة للسان الأمازيغي كالجنة والدنيا والذنوب والأفعال والفقهاء وأبدلها بما يقارنها لجت والدونيت ولفعال ولفقه ونوقصان ولاعيوبي.

غير أن الأستاذ جهادي والذي أخذ بهذا النهج في بعض الألفاظ، لم يستقر عليه في الكتاب كله، بل نجده في أحايين كثيرة يتكلف في إيجاد ترجمات لألفاظ يغيثه إبقاؤها على ما هي عليه، بل ربما زادتها الترجمة غموضاً خصوصاً ما تعلق بالألفاظ المتقاربة المعنى كجهنم والجحيم والنار، فترجم جهنم بأرواس، وربما كان الأفضل إبقاؤها على لفظها الأكثر ذيوفاً ودلالة وانتشاراً بين الأمازيغ أنفسهم.

وقد أتعب نفسه كثيراً في البحث عن بديل في الأمازيغية لمجموعة من الألفاظ العربية التي صارت داخل التداول الأمازيغي مفهومة معروفة كالزكاة والركوع والسجود، وتحمل لديهم معاني ودلالات واضحة لا تحتاج إلى بيان أو ترجمة وتوضيح¹.

نتائج وخلصات:

تخلص هذه الورقة العلمية إلى ما يلي:

أولاً: ترجمة معاني القرآن الكريم بلغات الشعوب الأخرى ضرورة ملحة لأجل تحقيق مقصد الشارع وهو التبليغ والبيان للناس باختلاف ألسنتهم وأجناسهم، ويزداد الوجوب والتأكيد عندما يتعلق الأمر بالأمازيغ من المسلمين.

ثانياً: للنص القرآني قدسية وخصوصية، أما قدسيته فمعلومة، وخصوصيته راجعة إلى كونه مرجعاً ومصدراً للشرائع والأحكام العقديّة والعملية، فكل لفظ من ألفاظه يحمل حمولة شرعية يجب مراعاتها وبيانها.

ثالثاً: الأمازيغية شقيقة اللغة العربية فلا مجال إلا لإثبات التكامل والتمازج والتحاوّر تحقيقاً لمبدأ الغنى اللغوي، بعيداً عن منطق الإقصاء والاستعداد، والمحاولات اليائسة لتحليل الأمازيغية من الموروث العربي وتنقيتها، فالانفتاح تنمية وحياء، والانغلاق تخلف وموت.

رابعاً: ترجمة القرآن بشكل فردي يكاد يكون مستحيلاً، فإذا خرج للوجود شأبها نواقص واحتاج إلى تصحيح وتنقيح.

¹ - حاول جهادي أن يلتمس الترجمة للعديد من العبارات كالبسملة والألفاظ كالسورة والزكاة تكلفاً، فجاءت هذه الألفاظ بعيداً عن المتداول والمعروف عند الأمازيغ أنفسهم، كلفظة تاكطومت بالنسبة للسورة.

قائمة المصادر والمراجع:

- الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، طبعة 2002م.
- ابن تيمية 728هـ: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة: 1999م.
- جهادي الباعمراني: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية، بدون.
- الحظيكي ت 1189هـ: طبقات الحظيكي، تحقيق أحمد بومركو، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006م.
- خديجة كمايسين: العقيدة والتصوف في فكر محمد بن علي أوزال، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة دار المعارف الجديدة، الطبعة الأولى: 2015م.
- الزركشي 794هـ: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى: 1957م.
- الشاطبي ت 790هـ: الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1997م، 103/2.
- ابن العربي ت 543هـ: أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة: 2003م.
- ابن فارس المتوفى: 395هـ: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م.
- مجمع فهد: القرآن وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة 1405هـ.
- محمد الهاطي: المخطوط الأمازيغي في المجال السوسي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الصبغة الأولى: 2015م.
- المختار السوسي: المعسول، مطبعة النجاح الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1960م.
- المختار السوسي: سوس العالمة، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، الطبعة الأولى 1960م.
- الهوزالي: بحر الدموع باللغتين الأمازيغية والعربية، تحقيق عمر افا وترجمة إبراهيم شرف الدين، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 2009م.
- اليوسي: المحاضرات في اللغة، دار المغرب للترجمة والنشر والتأليف، الطبعة الأولى: 1976م.

➤ الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423 هـ - 2002 م.

المقالات:

- محمد المختار السوسي: تأثير العربية في اللهجة الشلحية، مجلة اللسان العربي، العدد 2، يناير 1965م.
- أحمد عصيد: قضايا الترجمة من الأمازيغية وإليها، أعمال ندوة الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية إستراتيجية؟ منشورات وزارة الثقافة 2003، مطبعة دار المناهل.
- محمد العمري: مقال: الأفراني والحالة الثقافية بمراكش في عصره، ندوة: من جامعة بن يوسف إلى جامعة القاضي عياض، حصيلة تسعة قرون من ثقافة أصيلة ومتميزة، العدد 1990/6 .